سورة المنافقون

مدنية، وهي إحدى عشرة آية [نزلت بعد الحج]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾

أرادوا بقولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم[1]. فقال الله ـ عزّ وجلّ ـ: قالوا ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أن الأمر كما يدل عليه قولهم: إنك لرسول الله، والله يشهد أنهم لكاذبون في قولهم: نشهد؛ وادعائهم فيه المواطأة. أو إنهم لكاذبون فيه، لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة؛ فهم كاذبون في تسميته شهادة. أو أراد: والله يشهد إنهم لكاذبون عند أنفسهم، لأنهم كانوا يعتقدون أنّ قولهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه. فإن قلت: أي فائدة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾؟ قلت: لو قال: قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إنهم الكاذبون، لكان يوهم أنّ قولهم هذا كذب؛ فوسط بينهما قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾؟ ليميط هذا الإيهام ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ يجوز أن يراد أنّ قولهم نشهد إنك لرسول الله يمين من أيمانهم الكاذبة، لأنّ الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد، يقول الرجل: أشهد وأشهد بالله، وأعزم وأعزم بالله في موضع أقسم وأولى. وبه استشهد

---

(١) قال محمود: «إنما كذبهم لأنهم ادعوا أن شهادتهم بألسنتهم تواطؤ لقلوبهم... إلخ» قال أحمد: ومثل هذا من نمطه المليح قوله: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ وقد كان المطابق لقوله: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ أن يقال لهم: لا تقولوا آمنا، ولكنه لما كان موهمًا للنهي عن قول الإيمان عدل عنه على ما فيه من الطباق إلى ما سلم الكلام فيه من الوهم، وذلك أجل وأعظم من فائدة المطابقة، لا سيما في مخاطبة هؤلاء الذين كانوا يتبعون ما تشابه منه بتغاء الفتنة. ألا تراهم كيف غالطوا أنفسهم متغابين، ولبسوا على ضعفهم متجاهلين عندما أنزل قوله: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾.

أبو حنيفة رحمه الله على أن «أشهد» يمين[1]. ويجوز أن يكون وصفًا للمنافقين في استجنانهم بالأيمان. وقرأ الحسن البصري: إيمانهم، أي: ما أظهروه من الإيمان بألسنتهم. ويعضده قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾. ﴿سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله. وفي ﴿سَآءَ﴾ معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالا بسبب ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالأيمان، أي: ذلك كله بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فجسروا على كل عظيمة. فإن قلت: المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم[2]، فما معنى قوله: ﴿ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾؟ قلت: فيه ثلاثة أوجه، أحدها: آمنوا، أي: نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام، ثم كفروا: ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما أطلع عليه من قولهم: إن كان ما يقوله محمد حقًا فنحن حمير، وقولهم في غزوة تبوك: أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات. ونحوه قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤] أي: وظهر كفرهم بعد أن أسلموا. ونحوه قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَد كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦] والثاني آمنوا: أي نطقوا بالإيمان عند المؤمنين، ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] والثالث: أن يراد أهل الردة منهم. وقرئ: «فطبع

---

(١) قال محمود: «استدل لأبي حنيفة على أن قول القائل «أشهد» يمين بقوله: (اتخذوا أيمانهم جنة) ولم يصدر منهم إلا قولهم ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ فجعله يمينًا» قال أحمد: أحد القولين عند مالك ـ رحمه الله ـ إذا قال أشهد وأحلف وأقسم ولم ينو بالله ولا بغيره، كما نقل عن أبي حنيفة أنه يمين وليس بالمشهور. أما لو نوى بالله وإن لم يتلفظ فيمين بلا إشكال، وليس فيما ذكره دليل على ما ذكره، فإن قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ غايته أن ما ذكروه يسمى يمينًا، وليس الخلاف في تسميته يمينًا؛ وإنما الخلاف هل يكون يمينًا منعقدة يلزم بالحنث فيها كفارة أم لا؟ وليس كل ما يسمى حلفًا أو قسمًا يوجب حكمًا، ألا ترى أنه لو قال: «أحلف» ولم يقل «بالله» ولا بغيره، فهو من محال الخلاف في وجوب الكفارة به. وإن كان حلفًا لغة باتفاق، لأنه فعل مشتق منه.

(٢) قال محمود: «المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم... إلخ» قال أحمد: ويحتمل وجهًا رابعًا وهو أنهم آمنوا به قبل مبعثه على الصفة المذكورة في التوراة، لأنهم كانوا يسمعونها من جيرانهم اليهود، ثم كفروا به بعد مبعثه وموافقة الصفة، ولعل في المنافقين يهودًا، وإن لم يكن فقد كان الإيمان قبل مبعثه من الفريقين: اليهود وعبدة الأوثان من العرب، إلى نزول قوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ كيف حكى الله تعالى عن الفريقين ما كانوا يقولونه. والبينة: النبي ﷺ.

على قلوبهم»، وقرأ زيد بن علي: «فطبع الله».

﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾

كان عبد الله بن أبيّ رجلاً جسيمًا صبيحًا، فصيحًا، ذلق اللسان[1] وقوم من المنافقين في مثل صفته، وهم رؤساء المدينة، وكانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيستندون فيه، ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن[2]؛ فكان النبي ﷺ ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾؟ قلت: شبهوا في استنادهم ـ وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير ـ بالخشب المسندة إلى الحائط؛ ولأنّ الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، وما دام متروكًا فارغًا غير/ ٢/ ٢٢٢ب منتفع به أسند إلى الحائط، فشبهوا به في عدم الانتفاع. ويجوز أن يراد بالخشب المسندة: الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان؛ شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم؛ والخطاب في ﴿رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ﴾ لرسول الله، أو لكل من يخاطب. وقرئ: «يُسمع» على البناء للمفعول، وموضع ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ﴾ رفع على: هم كأنهم خشب. أو هو كلام مستأنف لا محل له. وقرئ: «خشب» جمع خشبة، كبدنة وبدن. وخشب، كثمرة وثمر. وخشب، كمدرة ومدر، وهي في قراءة ابن عباس. وعن اليزيدي أنه قال في ﴿خُشُبٌ﴾: جمع خشباء، والخشباء: الخشبة التي دعر جوفها[3]: شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ثاني مفعولي يحسبون[4]، أي: يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم، لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب، إذا نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة، ظنوه إيقاعًا بهم. وقيل: كانوا

---

(١) قوله: «فصيحًا ذلق اللسان» أي طلق اللسان، كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «كانوا يجالسون رسول الله ﷺ ويستندون في المجلس ولهم جهارة المناظرة وفصاحة الألسن... إلخ» قال أحمد: وفيما قال اليزيدي نظر من حيث مقتضى العربية، وإلا فهو متمكن المعنى، وذلك أنها قرئت بضم الشين وسكونها قراءتين مستفيضتين، ففيه دليل أن أصلها الضم، والسكون إنما هو طارئ عليه تخفيفًا، وهذا يبعد كونها جمع خشباء على وزن فعلاء؛ لأن قياس جمعه فعل بسكون العين كحمراء وحمر، ولا يطرأ الضم، فلو كان كما قال لم تضم شينها، والله تعالى أعلم.

(٣) قوله: «التي دعر جوفها» أي فسد. أفاده الصحاح. (ع)

(٤) قال محمود: «المفعول الثاني (عليهم) تقديره: واقعة عليهم... إلخ» قال أحمد: وغلا المتنبي في المعنى فقال [من البسيط]:

وضاقت الأرض حتى صار هاربهم ... إذا رأى غير شيء ظنه رجلا.

على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم. ومنه أخذ الأخطل [من الكامل]:

مَا زِلْتَ تَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ خَيْلاً تَكِرُّ عَلَيْهِمُ وَرِجَالاَ[1]

يوقف على ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ويبتدأ ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ أي الكاملون في العداوة: لأنّ أعدى الأعداء العدوّ المداجي[2]، الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي ﴿فَٱحْذَرْهُمْ﴾ ولا تغترر بظاهرهم. ويجوز أن يكون ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ المفعول الثاني، كما لو طرحت الضمير. فإن قلت: فحقه أن يقال: هي العدوّ. قلت: منظور فيه إلى الخبر، كما ذكر في ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦] وأن يقدر مضاف محذوف على: يحسبون كل أهل صيحة ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاء عليهم، وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم. أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يعدلون عن الحق تعجبًا من جهلهم[3] وضلالتهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦﴾

﴿لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ عطفوها وأمالوها إعراضًا عن ذلك واستكبارًا. وقرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الاستغفار وعدمه، لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم. أو لأن الله لا يغفر لهم. وقرئ: «استغفرت» على حذف حرف الاستفهام؛ لأنّ «أم» المعادلة تدل عليه. وقرأ أبو جعفر «آستغفرت»، إشباعًا لهمزة الاستفهام للإظهار والبيان، لا قلبا لهمزة الوصل ألفًا، كما في: آلسحر، وآلله.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾

---

(١) للأخطل، يقول: لا زلت يا جرير تظن كل شيء بعدهم، أي: بعد خذلان قومك. ويجوز أن بعدهم بمعنى غيرهم، خيلاً تكر: أي ترجع بسرعة عليهم ورجالاً لكثرة ما قام بقلبك من الخوف.

(٢) قوله: «العدو المداجي الذي يكاشرك» أي المداري. والكشر: التبسم تبدو منه الأسنان. والدوي ـ مقصور ـ المرض، تقول: دوى الرجل ـ بالكسر: مرض ودوى صدره أيضًا: ضغن. ودوي الريح: حفيفها، كذا في الصحاح. (ع)

(٣) قوله: «تعجبًا من جهلهم» لعله تعجب، بل لعله: تعجيب. (ع)

روي: أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم: ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه، وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبيّ، واقتتلا، فصرخ جهجاه: يا للمهاجرين: وسنان: يا للأنصار؛ فأعان جهجاها جعّال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا. فقال عبد الله لجعال. وأنت هناك، وقال: ما صحبنا محمدًا إلا لنلطم، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل، عنى بالأعز: نفسه، وبالأذل، رسول الله ﷺ، ثم قال لقومه: ماذا فعلتم بأنفسكم؟ أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم؛ أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، ولأوشكوا أن يتحوّلوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد، فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث، فقال: أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك، ومحمد في عزّ من الرحمٰن وقوّة من المسلمين، فقال عبد الله: اسكت فإنما كنت ألعب؛ فأخبر زيد رسول الله فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله، فقال: إذن ترعد أنف كثيرة بيثرب. قال: فإن كرهت أن يقتله مهاجري. فأمر به أنصاريًا فقال: فكيف إذا تحدّث الناس أنّ محمدًا يقتل أصحابه؛ وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ لعبد الله: أنت صاحب الكلام الذي بلغني؟ قال: والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئًا من ذلك، وإن زيدًا لكاذب، وهو قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢] فقال الحاضرون: يا رسول الله: شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام، عسى أن يكون قد وهم. وروي أن رسول الله قال له: لعلك غضبت عليه؛ قال: لا؛ قال: فلعله أخطأ سمعك؛ قال: لا؛ قال: فلعله شبه عليك؛ قال: لا. فلما نزلت: لحق رسول الله زيدًا من خلفه فعرك أذنه وقال: وفت أذنك يا غلام، إنّ الله قد صدقك وكذب المنافقين (١٦٠٦). ولما أراد عبد الله أن يدخل المدينة: اعترضه ابنه حباب، وهو عبد الله بن

١٦٠٦ ـ قال الحافظ:

(١) هكذا ذكره الواقدي في المغازي بغير إسناد وعزاه إلى الثعلبي والواحدي ولأصحاب السير، وأخرجه ابن إسحاق في السيرة: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، وعبدالله بن أبي كر ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق ـ فذكر الغزوة بطولها والقصة المذكورة باختلاف يسير. وكذا أخرجه الطبري من طريقه وأصل القصة في الصحيحين من طريق أبي إسحاق عن زيد بن أرقم قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي يقول ـ الحديث ـ وأوله عندهما أيضًا من طريق عمرو بن دينار عن جابر قال «كنا في غزوة بني المصطلق فتبع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار» ورواه الترمذي والنسائي والحاكم من طريق أبي سعد الأودي حدثنا زيد بن أرقم قال «غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معنا أناس من الأعراب فكنا نبتدر الماء وكان الأعراب يسبقوننا فسبق أعرابي. فملأ الحوض» فذكر القصة بطولها. وفي سياقها اختلاف. انتهى

عبد الله غير رسول الله اسمه، وقال له إنّ حبابًا اسم شيطان. وكان مخلصًا وقال: وراءك، والله؛ لا تدخلها حتى تقول رسول الله الأعز وأنا الأذل، فلم يزل حبيسًا في يده حتى أمره رسول الله بتخليته (١٦٠٧). وروي أنه قال له: لئن لم تقرّ لله ورسوله بالعز لأضربن عنقك، فقال: ويحك، أفاعل أنت؟ قال: نعم. فلما رأى منه الجدّ قال: أشهد أنّ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فقال رسول الله لابنه: «جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرًا»؛ فلما بان كذب عبد الله قيل له: قد نزلت فيك آي شداد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلوىٰ رأسه ثم قال: أمرتموني/ ٢/ ٢٢٣أ أن أومن فآمنت، وأمرتموني أن أزكي مالي فزكيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد، فنزلت: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٥] ولم يلبث إلا أيامًا قلائل حتى اشتكى ومات (١٦٠٨).

١٦٠٧ ـ قال الحافظ: هكذا. ذكره الثعلبي موصولاً بالذي قبله وروى الزبيدي من طريق عمرو بن دينار عن جابر أصل القصة وقال بعد عمر: دعني أضرب عنقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يتحدث الناس أن «محمدًا» يقتل أصحابه قال: وقال غير عمر قال له ابنه عبدالله بن عبد الله «والله لا تنفلت حتى تقول إنك الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ففعل وأصل حديث جابر في الصحيح. انتهى

١٦٠٨ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٣٥):

المصنف رحمه الله فرق هذا الحديث في طول السورة وجمعته؛ لأنه حديث واحد، وذكره الثعلبي بتمامه، وعزاه لأصحاب السير، وكذلك الواحدي في أسباب النزول. ا. هـ.

والحديث أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص (٤٥٠ ـ ٤٥١ ـ ٤٥٢ ـ ٤٥٣) رقم (٨٢١)، وابن هشام في سيرته (٣/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) رقم (١٤٧٢) والطبري في تفسيره (١٢/ ١٠٨) رقم (٣٤١٧٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة»: (٤/ ٤٦ ـ ٥٢ ـ ٥٣) كلهم من طريق ابن إسحاق قال: حدثني عاصم ابن عمرو بن قتادة وعبدالله بن أبي بكر ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق، قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له... فذكره.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٤٥) وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. ورُوي الحديث مختصرًا في الصحيحين وغيرهما:

فأخرجه البخاري (٩/ ٦٣٧): كتاب التفسير: سورة المنافقين: باب قوله ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾، حديث (٤٩٠٠) وأطرافه في (٤٩٠١ ـ ٤٩٠٢ ـ ٤٩٠٣)، ومسلم (٩/ ١٣٣ ـ النووي): كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث (١/ ٢٧٧٢) والترمذي (٥/ ٤١٥): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة المنافقين، حديث (٣٣١٢)، والنسائي في التفسير (٢/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧) كلهم وأحمد (٤/ ٣٧٣) والطبراني (٥/ ١٨٩) رقم (٥٠٥٠ ـ ٥٠٥١) من طريق عمرو بن عبدالله أبي إسحاق السبيعي عن زيد بن أرقم به. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». ا. هـ. وله طريق آخر:

أخرجه الترمذي (٥/ ٤١٥ ـ ٤١٦): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة المنافقين، حديث (٣٣١٣) من طريق السُّدِّيِّ عن أبي سعيد الأسدي عن زيد بن أرقم به.

وقال: هذا حديث حسن صحيح. أ. هـ. وللحديث شاهد من حديث جابر بن عبد الله: أخرجه البخاري (٩/ ٦٤٨): كتاب التفسير: سورة المنافقين: باب قوله تعالى: ﴿لئن رجعنا إلى المدينة =

﴿يَنفَضُّواْ﴾ يتفرقوا. وقرئ: «ينفضوا» من أنفض القوم إذا فنيت أزوادهم. وحقيقته: حان لهم أن ينفضوا مزاودهم ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وبيده الأرزاق والقسم، وهو رزقهم منها؛ وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم، ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان. وقرئ: «ليخرجنّ الأعز منها الأذل» بفتح الياء. وليخرجنّ، على البناء للمفعول. قرأ الحسن وابن أبي عبلة: لنخرجنّ، بالنون ونسب الأعز والأذل. ومعناه: خروج الأذل. أو إخراج الأذل. أو مثل الأذل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ الغلبة والقوّة، ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين، وهم الأخصاء بذلك، كما أنّ المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين. وعن بعض الصالحات ـ وكانت في هيئة رثة ـ ألست على الإسلام؟ وهو العز الذي لا ذل معه، والغنى الذي لا فقر معه. وعن الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ : أنّ رجلاً قال له: إنّ الناس يزعمون أنّ فيك تيهًا؛ قال: ليس بتيه، ولكنه عزة، وتلا هذه الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ لا تشغلكم ﴿أَمْوَٰلُكُمْ﴾ والتصرف فيها، والسعي في تدبير أمرها: والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال، وابتغاء النتاج والتلذذ بها؛ والاستمتاع بمنافعها ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ وسروركم بهم، وشفقتكم عليهم، والقيام بمؤنهم، وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم، وقد عرفتم قدر منفعة الأموال والأولاد،

= ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾، حديث (٤٩٠٧)، ومسلم (٨/ ٣٨٢ ـ النووي): كتاب البر والصلة والآداب: باب نصر الأخ ظالمًا ومظلومًا، حديث (٦٤/ ٥٨٤).

كلاهما عن طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عمرو بن دينار عن جابر به.

وله طريق آخر:

أخرجه مسلم (٨/ ٣٨١ ـ ٣٨٢ ـ النووي): كتاب البر والصلة والآداب: باب نصر الأخ ظالمًا ومظلومًا، حديث (٦٣/ ٥٨٤) والترمذي(٥/ ٤١٧ ـ ٤١٨): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة المنافقين، حديث (٣٣١٥). والنسائي في التفسير (٢/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨) رقم (٦١٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩/ ٤٦٨) رقم (١٨٠٤١) و«البيهقي في السنن الكبرى» (٦/ ٣٢)، وفي «دلائل النبوة» (٤/ ٥٣ ـ ٥٤).

كلها من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر به.

قال الحافظ:

ذكره الثعلبي موصولاً بالذي قبله. وأخرجه الطبري من رواية إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن بشر بن مسلم «أنه قيل لعبدالله بن أبي: يا أبا الحباب: إنه أنزل آي شداد، فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فذكره أخصر منه. انتهى.

وأنه أهون شيء وأدونه في جنب ما عند الله ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وإيثاره عليها ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ يريد الشغل بالدنيا عن الدين ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني. وقيل: ذكر الله الصلوات الخمس. وعن الحسن: جميع الفرائض، كأنه قال: عن طاعة الله. وقيل: القرآن. وعن الكلبي: الجهاد مع رسول الله ﷺ.

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿مِن﴾ في ﴿مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ للتبعيض، والمراد: الإنفاق الواجب ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ من قبل أن يرى دلائل الموت، ويعاين ما ييأس معه من الإمهال، ويضيق به الخناق، ويتعذر عليه الإنفاق ويفوت وقت القبول، فيتحسر على المنع، ويعضّ أنامله على فقد ما كان متمكنًا منه. عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: تصدّقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت، فلا تقبل توبة، ولا ينفع عمل. وعنه: ما يمنع أحدكم إذا كان له مال أن يزكي، وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت، فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها. وعنه: أنها نزلت في مانعي الزكاة، ووالله لو رأى خيرًا لما سأل الرجعة، فقيل له: أما تتقي الله، يسأل المؤمنون الكرة؟ قال: نعم، أنا أقرأ عليكم به قرآنا، يعني: أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها، وكذا عن الحسن: ما من أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج إلا سأل الرجعة. وعن عكرمة أنها نزلت في أهل القبلة ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾. وقرئ: «أخرتن»، يريد: هلا أخرت موتي ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إلى زمان قليل ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ وقرأ أُبي: فأتصدق على الأصل. وقرئ: «وأكن»، عطفًا على محل ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ كأنه قيل: إن أخرتني أصدّق وأكن. ومن قرأ: «وأكون» على النصب، فعلى اللفظ. وقرأ عبيد بن عمير: «وأكون»، على «وأنا أكون» عدة منه بالصلاح ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ﴾ نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي الحكمة. والمعنى: إنكم إذا علمتم أنّ تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه. وأنه هاجم لا محالة، وأنّ الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها، من منع واجب وغيره، لم تبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله. وقرئ: «تعملون»؛ بالتاء والياء. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق» (١٦٠٩).

١٦٠٩ ـ تقدّم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه ابن مردويه والثعلبي والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب. انتهى